الباب الثالث

معنى الصحوة الدينية (الإسلامية) *

* ورقة قُدمت فى الحوار المصرى الألمانى فى مدينة لوكوم–هانوفر بألمانيا فى الفترة من ١– ٧/٥/٢٠٠٦م

١- مقدمة تعريفية:

كثيراً ما يجرى خلاف حول المعنى المقصود لكثير من المصطلحات ، وخاصة تلك المتعلقة بالظواهر الدينية الإسلامية، ولذلك يجب تعريف المصطلحات التى سوف نستخدمها فى هذه الدراسة مثل مصطلحى (الأصولية والأصوليين).. ففى التعريف الغربى لهذه الكلمات مدلول سلبى.. فكما قال البروفسير "جون إسبوزيتو" فى كتابه "التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة": "إن فهمنا ومفاهيمنا للأصولية متأثرة كثيرا بالبروتستانتية الأمريكية". ويحدد قاموس ويبستر مصطلح أصولية "fundamentalism" على أنه "حركة فى بروتستانتية القرن العشرين تؤكد على حرفية الكتاب المقدس المفسر باعتباره أصلا للحياة والتعليم المسيحي" وبالنسبة إلى الكثير من المسيحيين المتحررين والعاديين فان كلمة "أصولي" تحط من قدر المرء وتدينه، لأنها تطلق دونما تمييز على كل أولئك الذين يحبذون وضعا إنجيليًّا حرفيًّا، ومن ثم يعتبرون جامدين ورجعيين ومتطرفين"(٢٥) .. هكذا كان تعريف د.جون إسبوزيتو، أما فى الثقافة العربية

(٢٥) جون أسبوزيتو ، "التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة" ترجمة د. قاسم عبده قاسم طبعة دار الشروق ٢٠٠١ م ص ٢٣ .

الإسلامية فالأصولية عند غالبية المسلمين ـ وخاصة عند الدارسين لعلوم الإسلام المختلفة ـ كلمة محببة ؛ لأنها تتحدث عن علم الأصول، أى أصول الفقه أو علم أصول الدين، وهما ركنان أساسيان فى العلوم الشرعية الإسلامية ، وبالتالى فكلمة أصولى كلمة محببة وليست مذمومة، ولهذا فشلت كل محاولات بعض غلاة العلمانيين فى بلا دنا لتشويه هذه الكلمة مثل ما هى كذلك فى المفهوم الغربى، ولذلك يطلق العرب والمسلمون على الذين يغالون فى أحكام الإسلام ويتشددون لفظ متطرفين وليس أصوليين. وكذلك يطلق على الحركات الإسلامية التى تتبنى مشروعا إسلاميا حركيا سواء كان معتدلا أو متطرفا لفظ إسلاميين، ويضاف للكلمة تعبير معتدل أو متطرف إذا كان من التيار المعتدل والثانى إذا كان من التيار المتشدد أو المتطرف أو الذى ينتهج العنف.

ومن ذلك أيضا تعبير الصحوة الإسلامية أو (حركة الإحياء الإسلامى أو النشاط الإسلامى) وما فى حكمها.

٢-معنى الصحوة الدينية الإسلامية:

يمكن تعريف الصحوة الدينية الإسلامية بتعريفات كثيرة ، لكن ما أظنه اقرب إلى الصواب هو تزايد دور الدين ومظاهره

فى حياة الأفراد والمجتمعات ، وفى صياغة النظام العام وفى توجه الحكومات ، وفى تحديد العلاقات داخل المجتمع وخارجه.

وبالتالى يمكن أن تكون الصحوة كذلك أو "الإحياء الإسلامي" هى بث الروح فى المجتمع على أساس دينى إسلامى وإلى دخول الإسلام بقدر أكبر فى السياسات وفى المجتمع الإسلامى.

وهو نفس المعنى تقريباً الذى قدمته الورقة الخلفية لهذه الندوة التى أعدتها د. نيفين مسعد والتى عرفتها بأنها "هى تزايد الاحتكام إلى النصوص المقدسة فى إدارة شئون الدولة والمجتمع وفى ضبط التفاعلات الفردية والجماعية ، وفى تحديد معايير السلوك وتقيم الظواهر المختلفة".

٣- الصحوة الدينية هل هى صحوة إسلامية فقط أم عالمية؟

بالنظر إلى تطور الأحداث وتفاعلاتها فى كثير من بقاع العالم نجد أن ظاهرة إدخال الدين بشكل أكبر فى حياة الأفراد، وفى سلوك الدول والحكومات لم تعد ظاهرة عربية فقط أو إسلامية ، بل ظاهرة عالمية حيث حدث هذا فى العقود الأخيرة

فى كثير من مناطق العالم ، فهى موجودة فى الهند حيث تزايد تمسك الهندوس والسيخ بكثير من المظاهر الدينية، بل إن أحد الأحزاب الدينية الهندوسية وهو حزب "بهال جناتا" وصل إلى السلطة وحكم الهند التى توصف بأنها أكبر ديمقراطيات العالم. وتكرر الأمر نفسه فى الولايات المتحدة الأمريكية من تزايد دور الدين فى صنع القرار السياسى الدولى والمحلى ووصل ذروته بوصول "المحافظين الجدد" واليمينيين الدينيين فى الحزب الجمهورى إلى قمة السلطة فى عهد الرئيس بوش الابن. كما تزايد مظاهر تأثير الدين فى كثير من الدول الأوربية بأشكال مختلفة وبنسب مختلفة وظهر الدور المسيحى فى كثير من الحساسيات تجاه المسلمين فى الغرب بل وتجاه انضمام بلد يسكنه أغلبية من المسلمين كتركيا إلى الاتحاد الأوروبى، واعتراضات أصوات سياسية مؤثرة – وليست دينية فقط– مثل الرئيس الفرنسى الأسبق "فاليرى جيسكار ديستان" الذى قال عن الاتحاد الأوربى : إنه (نادٍ مسيحي) !! ، وكذلك دور الدين اليهودى فى وجود دولة مثل دولة إسرائيل قائمة على أساس دينى وبدعم من يهود العالم لها ، واحتكامها لمعايير دينية فى كل تصرفاتها وقراراتها الرئيسية . وكذلك تنامى دور البوذية فى الصين وجبال التبت وغيرها.

ومما سبق يتضح أن ظاهرة الصحوة الدينية بكافة أشكالها وتنوعها هى ظاهرة عالمية وليست فقط ظاهرة إسلامية .

٤-الصحوة الدينية الإسلامية فى السياق المصرى :

أ- الصحوة الأولى فى بدايات القرن العشرين :

أحب أن أؤكد هنا على أن فكرة الصحوة الإسلامية ليست جديدة على التاريخ الإسلامى أو العربى أو المصرى بل والإنسانى أيضًا ، ففى كل مرة تحدث أحداث كبرى تصيب المجتمعات بهزات عنيفة تكون إحدى تجلياتها العودة إلى الدين والتمسك به وإحياء دوره فى المجتمع والدولة وعلى المستوى الفردى، وفى التاريخ الحديث وفى القرن الماضى تحديدا ، حدث ذلك فى السياق المصرى مرتين. المرة الأولى فى بداية القرن العشرين نتيجة الاحتلال الغربى لمصر ومحاولات التغريب الفكرى الثقافى، وقاد هذه الصحوة فكريًّا منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مفكرون مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغانى ورشيد رضا . ولكن هذه الصحوة تبلورت بشكل حركى مؤثر فى الشارع على يد الشيخ حسن البنا الذى تأثر فكريا بهؤلاء الشيوخ . وأسس حركة إسلامية دعوية سياسية هى جماعة الإخوان المسلمين فى

مارس ١٩٢٨م وانتشرت موجة التدين والعودة إلى الدين بشكل كبير طوال النصف الأول من القرن العشرين .. حتى الصدام الشهير بين حركة الإخوان المسلمين ونظام حكم الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر.

طوال هذه الفترة كانت هناك صحوة إسلامية لها تجلياتها ، كانت تساهم فيها عدة جماعات وجمعيات وحركات من جمعية أنصار السنة المحمدية إلى الجمعية الشرعية إلى الجماعات الصوفية العديدة إلى علماء الأزهر ودعاته وشيوخه، ولكن كانت القاطرة السياسية لهذه الصحوة حركة الإخوان المسلمين التى مرت بمراحل عدة فى هذه الفترة ، ففى الفترة الأولى أو العشر سنوات الأولى منذ ١٩٢٨م حتى ١٩٣٨م استمر حسن البنا يبنى جماعته على أساس دينى دعوى من وجوب التمسك بالإسلام سلوكا وعبادة ووجوب إصلاح الفرد لنفسه كمسلم مستقيم وصالح وضرورة بناء أسرة مسلمة والتأثير فى مجتمعه..... إلخ ، وبعد عام ١٩٣٨م وهو العام الذى عقد فيه المؤتمر العام الخامس لجماعة الإخوان المسلمين تحول إلى الاهتمام بالعمل السياسى وظهر ذلك فى خطابه فى هذا المؤتمر وفى القضايا التى تناولها، وبعدها حاول البنا نفسه الترشح لانتخابات البرلمان المصرى فى دائرة الإسماعيلية مركز

نشاطه الأول ، وقد تمت محاولة ترشيحه .. مرتين : واحدة انسحب بعد تهديد واتفاق مع رئيس الوزراء فى ذلك الوقت مصطفى النحاس باشا ، والثانية ترشح ورسب فى الانتخابات ، ثم بدأ اهتمام البنا بالقضية الوطنية (أى تحرير البلاد من الاحتلال الإنجليزي) ثم تحول نحو الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، ودعمها ، وكذلك أنشأ البنا جناحا مسلحاً سريًّا أطلق عليه "النظام الخاص" واختلف المؤرخون على السبب الحقيقى لنشأة الجناح المسلح فالإخوان يقولون أنه أُنشىء لمقاومة الاحتلال الإنجليزى وللقتال فى فلسطين ، وخصوم الإخوان يقولون : إنه أنشىء لاغتيال خصوم الإخوان السياسيين والوصول للسلطة ، وكل طرف يستشهد بوقائع صحيحة تؤيد روايته فالإخوان يستشهدون بالعمليات الفدائية التى حدثت فى مدن القناة (قناة السويس) ضد الجيش الإنجليزى، وكذلك مشاركة متطوعين من الإخوان فى الحرب فى فلسطين عام ١٩٤٨م أما خصومهم فيستشهدون بحوادث اغتيال لخصومهم السياسيين مثل النقراشى باشا رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى ذلك العهد ، وكذلك قاضٍ اسمه الخازندار حكم حكمًا قاسيًا على أفراد من الإخوان فى قضية منظورة أمامه وحوادث أخرى . أدى تنامى قوة الإخوان إلى صدامات

متعددة بدأت فى العهد الملكى باغتيال مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا ردًّا على قيام الجماعة باغتيال رئيس الوزراء النقراشى باشا الذى أصدر قراراً بحل الجماعة واعتقال كثير من قادتها قبل اغتياله فى عام ١٩٤٩م (اغتيال البنا ٢فبراير١٩٤٩م) ثم عادت الجماعة مرة أخرى بعد إلغاء قرار الحل فى عام ١٩٥١ برئاسة المستشار حسن الهضيبى وعند قيام حركة ضباط يوليو عام ١٩٥٢م بالاستيلاء على السلطة كانت علاقتهم جيدة بالإخوان فى البداية ثم ساءت خلال عام ١٩٥٤م ، حيث صدر قرار بحل الجماعة فى بداية العام ثم عاد مجلس قيادة الثورة عن قراره بعدها ، ثم حدثت محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر فى أكتوبر من نفس العام (١٩٥٤م) فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية شمال مصر ، وبعدها تم حل الجماعة مرة ثانية ، واعتقال الآلاف منها ، وإعدام عدد من قادتها ، وهروب عدد آخر خارج مصر...

واستمرت حالة الكمون والتوقف عن النشاط وكذلك ضمور كل مظاهر الصحوة حتى نهايات حكم الرئيس عبد الناصر، حيث عاودت الظهور وخاصة بعد هزيمة ٥ يونيو١٩٦٧م أمام إسرائيل واحتلال شبة جزيرة سيناء بالكامل، وحدثت بعدها هزة عنيفة للمجتمع المصرى كله ، وبدأ رد

الفعل نحو العودة إلى التدين تدريجيًّا بعد الهزيمة ، لكنه انطلق بشكل أكبر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م ، ووصول الرئيس السادات إلى الحكم.

ب-الصحوة الإسلامية الثانية فى مصر منذ السبعينيات وحتى الآن :

ذكرت أن بدايات ملامح الصحوة الإسلامية الحالية بدأت ككثير من الصحوات الدينية كرد فعل على حدث كبير صادم أو فشل كبير أحدث اهتزازا فى المجتمع أدى إلى عودة كثير من الناس إلى الدين واسترجاعه فى حياتهم سواء الخاصة أو العامة، وهذا الذى جرى فى مصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وبدأت مظاهر إحياء دور الدين تعود للظهور تدريجيًّا حتى وفاة الرئيس عبد الناصر ، ووصول الرئيس السادات للسلطة ، والذى أراد أن يصنع مشروعية لنفسه فى مقابل مشروعية الرئيس عبد الناصر فأراد أن يقود تحول المجتمع من فكرة الاشتراكية ونظام الحزب الواحد إلى دولة العلم والإيمان والتعددية ، والسماح بحرية حركة لكل فصائل المجتمع بما فيها القوى الإسلامية الجديدة الناشئة أو العائدة للظهور مرة أخرى كالإخوان ، كما أن الإعداد المعنوى للمقاتل المصرى (الجندى

المصري) كان على أساس إيمانى إسلامى، وكان شعار معركة أكتوبر ١٩٧٣م التى انتصر فيها الجيش المصرى هو شعار الله أكبر ، وكانت الأناشيد الوطنية مدعمة بالمعانى الإيمانية الإسلامية مما شكل دفعة قوية لقوى الإحياء الإسلامى ومظاهر الصحوة الإسلامية التى ظهرت تجلياتها ومظاهرها فى الصور الآتية .

٥- مظاهر الصحوة الإسلامية فى مصر :

كانت ـ وما زالت ـ صور الصحوة الإسلامية ومظاهرها فى مصر تبدو من خلال الممارسات الدينية الشخصية مثل كثرة المصلين فى المساجد خاصة بين الشباب من الجنسين ، وحلقات حفظ القرآن الكريم، وكذلك انتشار ظواهر الحجاب (غطاء الرأس) والاحتشام بشكل عام والاهتمام بالصوم فى رمضان وغيره من صوم النوافل أو السنن وموائد الرحمن لإطعام الفقراء فى رمضان فى الشوارع والميادين وأسفل المبانى، وكثرة الجمعيات الخيرية الإسلامية لتقديم العون للمحتاجين فى الصحة والتعليم ، وإعانة الفقراء واليتامى .... إلخ

كذلك انتشار ظاهرة الكتاب الدينى الإسلامى الفقهى أو الفكرى، وكتب التفسير والأحاديث ...إلخ ، وزيادة مبيعاتها

بشكل كبير سواء فى المعارض أو طوال العام ، وكذلك انتشار ظاهرة الكاسيت الصوتى والأقراص المدمجة CD للعلماء والدعاة وقرّاء القرآن من مختلف البلدان الإسلامية. كما ظهرت حفلات العرس فى المساجد بأشكال أكثر تحفظًا، كما كان من صورها أيضًا التقليل من الصور شبة العارية فى وسائل الإعلام الرسمى، والاهتمام بالبرامج الدينية وزيادة نفوذ العلماء وتأثيرهم .كذلك ظهور شركات توظيف الأموال الإسلامية، وسيطرة التيارات الإسلامية على انتخابات اتحاد الطلاب فى الجامعات ثم فى المدارس منذ أواخر السبعينيات وحتى الآن، وكذلك سيطرتهم على معظم نوادى هيئة التدريس بالجامعات المصرية، وكذلك مشاركتهم فى النشاط النقابى المهنى والفوز بالأغلبية فى عدد مهم من هذه النقابات كالأطباء والمهندسين والصيادلة والعلميين والمحامين وبنسب أقل فى التجاريين والزراعيين والمعلمين. والمساهمة فى انتخابات البرلمان فى الأعوام ١٩٨٤، ١٩٨٧، ١٩٩٥، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠٥م ، وفوز مجموعة من الإسلاميين سواء من الإخوان أو من المستقلين، تزايدت بالنسبة للإخوان من ٨ مقاعد فى العام ٨٤ إلى ٣٦ مقعداً فى العام ١٩٨٧ م ، ثم مقعد واحد فى العام ١٩٩٥م ، ثم ١٧ مقعد عام٢٠٠٠ م ، حتى وصلت إلى

٨٨ مقعد عام ٢٠٠٥م ، وبالتالى زاد التأثير فى الحياة العامة وفى سن القوانين ونظام البنوك والخدمات الاجتماعية التعليمية والصحة والثقافة ... إلخ .

كذلك زاد الاهتمام بالبعد الدولى سواء بالقضية الأفغانية فى الثمانينيات ثم قضية البوسنة فى التسعينيات ، ثم القضية الفلسطينية واحتلال العراق فى الفترة الأخيرة منذ الانتفاضة الأولى عام ٨٧ وحتى الآن .

٦-المقارنة بين الصحوة الإسلامية الآن ونظيرتها فى عشرينيات القرن الماضى :

- كانت الصحوة الإسلامية الأولى فى عشرينيات القرن المنصرم حتى منتصفه محدودة مقارنة بنظيرتها الأخيرة ،حيث التأثير أكبر والانتشار أكثر ، وخاصة تأثيرات الصحوة الإسلامية فى مصر على المنطقة العربية والعالم الإسلامى .

- كانت الصحوة الإسلامية الأولى لا تهتم بالمظاهر الخارجية مثل الحجاب ، فى حين أن الصحوة الإسلامية الحالية اهتمت بهذه الظاهرة .

- كانت الصحوة الإسلامية الأولى أقل نضجاً من حيث

الأفكار السياسية نحو التعدد الحزبى ودور المرأة ، ومشاركة غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية فى الحياة العامة ، فى حين أن الصحوة الحالية ، أو شريحة منها أكثر نضجًا فى هذه الأفكار.

– كانت الممارسة السياسية فى الصحوة الأولى اقل بكثير من الصحوة الحالية، التى تعددت فيها صور المشاركة السياسية و المجتمعية على نطاق واسع.

– كانت ظواهر العنف والتشدد أقل فى الصحوة الأولى من الصحوة الثانية ، حيث ظهر عدد من الجماعات العنيفة والمتصادمة مع مجتمعاتها ومع العالم اكبر بكثير واشد عنفا وراديكالية .

– كانت الصحوة الأولى أقل تأثيراً فى محيطها العربى وفى المجال الدولى، فى حين أن الصحوة الحالية اتسع تأثيرها على المحيط العربى وعلى المستوى الدولى ، سواء بأشكال سلبية مثل أحداث طالبان فى أفغانستان ، وأحداث الهجوم الإرهابى فى نيويورك وواشنطن لندن ومدريد وغيرها.

– فى الصحوة الأولى لم تنجح أى حركة إسلامية سياسية فى الوصول للسلطة والمشاركة فى الحكم، فى حين أن هذا تحقق فى الصحوة الثانية ، إما بأشكال انقلابية مثل السودان،

أو ديمقراطية مثل الأردن والمغرب واليمن ، وأخيراً بفلسطين ، أو ثورية مثل إيران .

– فى الصحوة الأولى لم يكن هناك تأثير على الجاليات المسلمة فى الغرب، إما لقلتهم أو لضعف وسائل الاتصال، أما فى الصحوة الحالية فهناك تأثير كبير على هذه الجاليات من جراء هذه الصحوة .

– فى الصحوة الأولى كان التيار الوحيد الممثل لحركات الإسلام السياسى هم الإخوان المسلمين، أما فى الصحوة الثانية فحدث تعدد داخل الحركات الإسلامية السياسية، سواء التى مارست العنف أو الجماعات والحركات الإسلامية من غير الإخوان المسلمين .

– فى الصحوة الأولى نظراً لتأثيرها الأقل على كل المستويات كما أسلفنا فلم تظهر ظاهرة ترشيد الصحوة كما حدث فى الصحوة الحالية من كتابات وحركات ومجموعات قامت بدور الترشيد لهذه الصحوة .

٧- مبررات الصحوة الإسلامية الحديثة :

كما ذكرنا داخل هذه الدراسة أن هناك ظروفًا وأحداثًا

ساهمت فى وجود حالة الصحوة أو فى دعمها ودفعها إلى الأمام ، ومن هذه الأحداث ما هو سياسى ، ومنها ما هو اجتماعى ومنها ما هو ثقافى، ومنها ما هو أسباب ومبررات داخلية فى المجتمع المصرى ومنها ما هو إقليمى على المستوى العربى والإسلامى ومنها ما هو دولى .

فبالنسبة إلى أهم الأحداث السياسية التى أوجدت الصحوة الحديثة هى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ والشعور بالانكسار أمام دولة صغيرة وحديثة قامت على أساس دينى فى حين أن الدول التى هزمت أكبر منها عدداً وأعمق تاريخًا لكن بسبب ابتعاد هذه الدول العربية وخاصة مصر عن التدين العميق وتراجع دور الدين كانت الهزيمة ، وكما قلت كان ذلك من أهم المبررات ، كذلك من المبررات السياسية الصدام السياسى الشهير بين جماعة الإخوان المسلمين والمتعاطفين معها ونظام الرئيس عبد الناصر وقهر الحريات وانتشار قصص التعذيب والقتل والإعدام وتشريد أسر وعائلات ، هذه القصص ساهمت مع تضخيمها فى عصر الرئيس السادات فى تغذية شعور التعاطف مع الإسلاميين بوجه عام والإخوان بوجه خاص ، وكان هذا أحد أسباب دخول أفواج من شباب الجامعات إلى الحركة الإسلامية الطلابية الحديثة التى تحول

معظمها إلى حركة الإخوان فيما بعد، كذلك فشل السياسات الاقتصادية فى حل مشاكل الناس الحياتية من عمل وسكن وزواج... إلخ، وكذلك الفشل على المستوى الاجتماعى وازدياد الفقر ومعدلاته وتراجع دور الدولة وفسادها وانهيار أدائها على كل المستويات، كل ذلك ساهم فى وجود الصحوة وتغذيتها، وخاصة فى ظل أداء مميز فى مجال الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية من قبل مجموعات كبرى ومتنوعة وروافد للصحوة الإسلامية.

وفى الفترات الأخيرة وطوال أكثر من عقدين ساهم الموقف العدوانى الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى والتواطؤ الغربى (الأوربى والأمريكي) فى دعم إسرائيل على طول الخط وحمايتها من تطبيق القرارات الدولية ومن عدم ردعها ووقف عدوانها على الشعب الفلسطينى، وضعف الأنظمة العربية الحاكمة التى هى غير منتخبة ديمقراطيًّا فى أغلبها أمام هذه السياسة، ساهم ذلك فى دعم الصحوة الإسلامية وحركاتها ورموزها كرموز مقاومة ودفاع عن الشعب الفلسطينى وعن المقدسات الإسلامية، كذلك قضية العراق وحصاره الذى دام أكثر من عشر سنوات مات فيها آلاف الأطفال والمدنيين، ثم العدوان من غير مبرر قانونى واحتلاله، وما جرى فيه منذ

الاحتلال حتى الآن كل ذلك ساهم فى تغذية الصحوة الإسلامية وفى تعاطف قطاعات واسعة من الجماهير مع فصائلها المقاومة سواء بالسلاح مثل حماس والجهاد وحزب الله أو مقاومة سلمية من باقى الحركات والجماعات والأحزاب الإسلامية.

كذلك المناخ العدائى الدولى الذى ساد بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م والتمييز ضد العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وحول العالم ، مما زاد من الشعور بالاضطهاد والاستهداف من قبل أغلبية الشعوب الإسلامية والعربية ، مما زاد أيضًا من أسهم كل روافد الصحوة الإسلامية، وظهر ذلك جليًّا فى كل انتخابات حرة أو شبه حرة جرت مؤخراً فى المنطقة العربية بما فيها مصر.

٨- تجليات الصحوة فى المجال السياسى وتقويمها :

نتيجة لهذه الصحوة الإسلامية كانت هناك مظاهر إيجابية ومظاهر سلبية :

أ - المظاهر السلبية للصحوة :

كان من المظاهر السلبية للصحوة ظهور جماعات

راديكالية تبنت أفكار متشددة ومتطرفة ساهمت فى نشر أفكار التشدد والتطرف فى بعض قطاعات المجتمع المصرى وخاصة فى نظرته للعملية السياسية والديمقراطية والتغيير السلمى والنظرة إلى المرأة وغير المسلمين (المسيحيين) والانتقاص من حقوقهم ، بل وتطورت هذه المجموعات [٢٦] إلى ممارسة العنف فى مراحل بدأت فى السبعينيات مثل حادث الهجوم على الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م كمحاولة لقلب نظام الحكم، ثم قيام جماعة متطرفة تدعى جماعة التكفير والهجرة بقتل وزير الأوقاف الشيخ محمد الذهبى عام ١٩٧٧م ، ثم عملية قتل الرئيس السادات عام ١٩٨١م وقتل اكثر من ٨٠ جنديا وضابطا بعدها بأيام فى مدينة أسيوط فى صعيد مصر.

ثم حقبة العنف غير المسبوق فى التاريخ المصرى كله التى حدثت فى التسعينيات بقتل عدد كبير من رموز الدولة وقادة الأجهزة الأمنية ، ضباطها وجنودها وعدد من المواطنين الأقباط والمسلمين ، وعدد من السائحين الأجانب فى حوادث عنف مجنون وغير مبرر، كان آخرها حادث الهجوم الإرهابى فى عام

---

(٢٦) هناك دراسة لكاتب هذه السطور صدرت فى كتاب عنوانها "جماعات العنف المصرية وتأويلاتها للإسلام" – مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٦ م .

١٩٩٧م على عدد من السائحين فى مدينة الأقصر فى صعيد مصر وراح ضحيته أكثر من ٦٠ بريئاً أغلبهم سائحون أجانب.

وإن كان الفصيل الأكبر الذى مارس هذا العنف طوال حقبة التسعينيات وهو فصيل الجماعة الإسلامية قد تراجع الآن، وأعلن مبادرة لوقف العنف فى عامى ١٩٩٧ م، ١٩٩٨م، ثم أصدر كتب مراجعات لأفكاره نشرت بدءاً من يناير ٢٠٠٢ حتى الآن. وأعلن ذلك فى كل وسائل الإعلام وتم الإفراج عن الآلاف منهم وجارى دمجهم فى الحياة العامة.

ومن المظاهر السلبية كذلك انتشار أفكار التشدد داخل قطاعات المجتمع التى تعمق من عزلة الأقباط المسيحيين وتقلل من دور المرأة، وتضيق على الناس فى كثير من نواحى الشان العام فى الفن والثقافة وغيرهما.

ب- المظاهر الإيجابية للصحوة :

مما لا شك فيه أن انتشار الصحوة ساهم فى ازدياد صورة المشاركة العامة فى العمليات الانتخابية والتحول الديمقراطى من خلال المشاركة فى انتخابات اتحاد الطلاب بالجامعات والمدارس، والانتخابات النقابية والمحلية والبرلمانية والسعى لتطوير الخطاب الإسلامى من خلال فكر مدنى مثل مشروع

حزب الوسط وكذلك قيام مفكرين إسلاميين وعلماء كبار أمثال: د.محمد سليم العوّا ، والمستشار طارق البشرى ، والكاتب فهمى هويدى بعدة كتابات ساهمت فى تطوير الخطاب الإسلامى نحو العقل والرشد وقيم المواطنة وحقوق الإنسان والديمقراطية و المساواة بين الرجال و النساء ....إلخ ، وكذلك علماء مثل : الشيخ يوسف القرضاوى ، الذى كتب كثيراً فى ترشيد الصحوة الإسلامية ومن أهم كتبه فى هذا الشأن : "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد" (٢٧) ، ويكفى أن أنقل عناوين فصول الكتاب العشرة لنعرف كيف ساهم فى هذا الترشيد وهي:

١- من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر.

٢- من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.

٣- من العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلمية.

٤- من الفروع والذيول إلى الرءوس والأصول.

٥- من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

٦- من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتحديث.

(٢٧) د. يوسف القرضاوى ، "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد" ، طبعة دار الشروق م ٢٠٠٢ م .

٧- من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق.

٨- من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال.

٩- من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة.

١٠- من الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن.

الخلاصة فى هذه النقطة أن الصحوة الإسلامية لها إيجابيات كما أن لها سلبيات ، وإن كانت الإيجابيات - برأى كاتب هذه السطور- أكثر من السلبيات، وهذا لا يمنع استمرار محاولات الترشيد والتطوير والتجديد داخل الصحوة سواء من مفكرين وعلماء أو ناشطين وحركيين وأحزاب.

٩- نتائج انتخابات البرلمان المصرى الأخيرة ٢٠٠٥م وربطها بحالة الصحوة الإسلامية :

سبق أن أشرنا إلى مشاركة "الإخوان المسلمين" فى الانتخابات البرلمانية المصرية فى العقدين الآخرين منذ عام ١٩٨٤م حتى ٢٠٠٥م وفوز مجموعة منهم عدة مرات ، منها: ٨ مقاعد عام ١٩٨٤م ، ثم ٣٦ مقعداً عام ١٩٨٧م ، ثم مقعد واحد عام ١٩٩٥م ، ثم ١٧ مقعداًعام ٢٠٠٠م ، وأخيرا ٨٨ مقعداً فى الانتخابات الأخيرة التى جرت فى ديسمبر ٢٠٠٥م.

ولتحليل نتائج الانتخابات الأخيرة عام ٢٠٠٥م يجب أن ننظر فى وضع الحياة السياسية المصرية منذ بدء التحول نحو التعددية فى منتصف السبعينيات وحتى الآن، حيث بدأ الرئيس الراحل أنور السادات سياسة التحول من الحزب الواحدة إلى التعددية عام ١٩٧٦م ، لكنها كانت تعددية مقيدة بحيث يغلب عليها الجانب الشكلى اكثر من الجانب العملى، وفى بداية عهد الرئيس مبارك حدثت انفراجة أكثر نحو التعددية حتى عام ١٩٩٢م ، بدأ التضييق على الحياة السياسية يشتد، وتزامن ذلك مع أحداث العنف الدموى التى مارسته جماعات العنف المصرية مثل "الجماعة الإسلامية" و"تنظيم الجهاد" وبعد توقف عمليات العنف استمر التضييق على الحياة السياسية وخاصة على الأحزاب الرسمية المصرح لها ، كما قامت الحكومة بسياسة السماح لأحزاب كثيرة كرتونية غير جادة لتزحم الحياة الحزبية ولتقفل الباب على الأحزاب الجادة، كما لم تستطع أن تمنع انتشار الإخوان وتمددهم وهم كيان غير مصرح به قانونًا، فأصبحت المفارقة أن الأحزاب الرسمية تحت الحصار ومن خلال مشاكلها الداخلية ازدادت ضعفًا وكذلك الأحزاب الجديدة مثل حزب "الوسط" و"الكرامة" مازال الرفض هو سيد الموقف، وحزب واحد هو حزب "الغد" تم السماح له

ثم تعرض رئيسه للقبض عليه والسجن ، ووضع الحزب أيضاً فى حالة حصار بإحداث انشقاقات داخله ، فلم يبقى فى الساحة غير الإخوان والحزب الوطنى الحاكم المتسلح بالدولة وأجهزتها وأدواتها وأموالها ووسائل إعلامها .

وفى نهاية عام ٢٠٠٤م ظهرت حركة معارضة مستقلة هى "الحركة المصرية من أجل التغيير" المعروفة باسم حركة " كفاية" والتى تشكلت من كل القوى والتيارات السياسية بغرض الضغط الداخلى لإحداث تغيير ديمقراطى حقيقى ، وقد ساهمت هذه الحركة فى رفع سقف النقد لرئيس الجمهورية وانتزعت حق التظاهر فى الشارع .. مما ساعد على جرأة قطاعات كبيرة من الشعب فى النقد ، كذلك ساهمت حركة القضاة المطالبة بالاستقلال الحقيقى للسلطة القضائية عن الجهاز التنفيذى للدولة فى زيادة سقف الحراك السياسى، وبالتالى حينما جرت الانتخابات الأخيرة كان الناس بين خيارين فقط الحزب الوطنى الحاكم المكروه والمرفوض والنظر لمرشحيه كرموز تسلط وفساد وبين الإخوان المسلمين الذين ينظر إليهم قطاع كبير من الناس كمجموعة نظيفة غير ملوثة ؛ ولذلك فإن جزءاً من نتائج التصويت كان بسبب رفض الناخبين لمرشحى الحزب الوطنى الحاكم بالإضافة إلى ثمرة

جهود الإخوان طوال أكثر من عشرين عاماً على المستوى الاجتماعى والنقابى والطلابى والسياسى كما أنه لم تتبلور أى قوة مدنية أخرى تقدم نفسها كاختيار آخر نتيجة هذه الأوضاع السياسية غير الديمقراطية.

لذلك كانت هذه النتائج التى حصل فيها الإخوان على عدد ٨٨ مقعداً من أصل عدد ١٥٠ مرشحاً لهم من إجمالى مقاعد البرلمان التى يجرى عليها الانتخاب وهى ٤٤٤ مقعداً ، أى حصلوا على نسبة اكثر من ٥٠ ٪ من مرشحيهم ، وحوالى ٢٠ ٪ من مقاعد البرلمان .

الخلاصة :

إنه إذا حدث تحول ديمقراطى حقيقى فى مصر وسمح لكل الأحزاب والقوى الأخرى بالتواجد والتواصل مع الجماهير وبناء أنفسهم ستكون الحياة الحزبية متوازنة ، وتكون قوة الإخوان قوة عادية ضمن قوى مختلفة.